

أضواء البيان

@ 265 ، وقوله تعالى : { وَدَّوًّا لَّوْ تَدَّهِنُ فَيُدْهِنُونَ وَلَا تُطِيعُ كُلُّ -
حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّ آزٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مِّنْ ذَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ
أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ } إلى غير ذلك من الآيات . .

وقد أمره في موضع آخر بالإعراض عن المتولين عن ذكره ، والذين لا يريدون غير الحياة
الدنيا ، وبين له أن ذلك هو مبلغهم من العلم . وذلك في قوله تعالى : { فَأَعْرِضْ عَنْ
مَّن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ
مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ } . .

وقوله في هذه الآية الكريمة : { مَّنْ أَعْفَلَنا } يدل على أن ما يعرض للعبد من غفلة
ومعصية ، إنما هو بمشيئة الله تعالى . إذ لا يقع شيء البتة كائناً ما كان إلا بمشيئته
الكونية القدرية ، جل وعلا ، { وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } ، {
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا } ، { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ
هُدَاهَا } ، { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى } ، { خَتَمَ
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ } ، { وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ
يَفْقَهُوهُ وَفَعَلْنَا أَسْمَاءَهُمْ وَقُرْآنًا } إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن كل شيء
من خير وشر ، لا يقع إلا بمشيئة خالق السموات والأرض . فما يزعمه المعتزلة ، ويحاول
الزمخشري في تفسيره دائماً تأويل آيات القرآن على نحو ما يطابقه من استقلال قدرة العبد
وإرادته فأفعاله دون مشيئة الله ، لا يخفى بطلانه كما تدل عليه الآيات المذكورة آنفاً ،
وأمثالها في القرآن كثيرة . .

ومعنى اتباعه هواه : أنه يتبع ما تميل إليه نفسه الأمارة بالسوء وتهواه من الشر ،
كالكفر والمعاصي . .
وقوله : { وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } قيل : هو من التفريط الذي هو التقصير ،
وتقديم العجز بترك الإيمان . وعلى هذا فمعنى { وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } أي كانت
أعماله سفهاً وضياًعاً وتفريطاً . وقيل : من الإفراط الذي هو مجاوزة الحد ، كقول الكفار
المحتقرين لفقراء المؤمنين : نحن أشرف مضر وساداتها إن اتبعناك اتبعك جميع الناس .
وهذا من التكبر والإفراط في القول . وقيل (فرطاً) أي قدما في الشر . . من قولهم : فرط
منه أمر ، أي سبق . وأظهر الأقوال في معنى الآية الكريمة عندي بحسب اللغة العربية التي
نزل بها للقرآن أن معنى قوله (فرطاً) : أي متقدماً للحق والصواب ، نابذاً له وراء

